المجلد الخامس، العدد الثالث، 123:112
أيلول (2023)
بحث رقم 3

تجليات المقصدية في رسائل مي زيادة

The Expressions of Purpose in the Letters of Mai Ziada

ثروت أحمد وهدان[1]، أحمد حسن حامد[2]

Tharwat Ahmad Wahdan[1], Ahmad Hassan Hamed[2]

[1] دكتوراه في اللغة العربية- جامعة النجاح- فلسطين

[2] أستاذ دكتور في اللغة العربية- جامعة النجاح- فلسطين

[1]Doctorate in Arabic Language, An-Najah University, Palestine
[2] Professor of Arabic Language, An-Najah University, Palestine
[1] tharwatahmad1234567@gmail.com

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2023/9/ 19	2023/10/10	2023/10/24

DOI: https://doi.org/10.31559/JALLS2023.5.3.3

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

رفـــاد REFAAD
www.refaad.com

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/6

E-ISSN 2663-5860 | P-ISSN 2663-5852

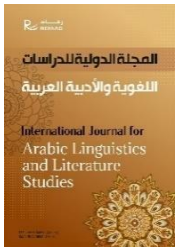

تجليات المقصدية في رسائل مي زيادة

The Expressions of Purpose in the Letters of Mai Ziada

الملخص:

الأهداف: هدفت هذه الدراسة إلى توضيح المقصدية في رسائل مي زيادة؛ فالدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع اكتفت بالإشارة إليه من خلال الحديث عن معايير نحو النص، ولم تفرد له دراسة خاصة في رسائل مي؛ لهذا تعد دراستها إضافة جديدة في سجل أبحاث لسانيات النص. ومعروف أن النص الأدبي سواء كان رسائلًا أو غيرها يتوجه صوب هدف محدد وغاية واحدة، فعندما تتظافر الدوافع والسياقات المقامية تتحقق الغاية أو الهدف أو الوجهة المرجوة التي يقصدها المؤلف وهنا يكمن مفهوم المقصدية. وعلى هذا الأساس تأتي هذه الدراسة لتؤكد على أهمية الموضوع، ذلك أن رسائل مي زيادة تمثل المقصدية وتتجلى من خلالها الأدوات التي تعبر عن المقاصد.

المنهجية: ستعتمد الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لهذه الدراسة، إذ ستقوم بجمع المادّة التي لها علاقة بالمقصدية، والتي تبدأ الباحثة دراستها للموضوع من خلال التوطئة التي تحدثت فيها عن مفهوم القصدية قديمًا، ثم تناولت مفهومها حديثًا.

خلاصة الدرسة: من الأهمية بمكان أن تظهر دراسة تبصّر بمواقع الإبداع، وتوقظ الملكة اللغوية، وتتيح للباحثة فرصة لخدمة أبناء اللغة العربية، وقد انتهت الدراسة بخلاصة تشمل النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وثبت المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: *تجليات؛ المقصدية؛ مي زيادة.*

Abstract:

Objectives: This study aims to a short explanation of the intentionality in Mai Ziada's letters that previous studies dealing with her letters have given a glimpse about them by talking about the criteria of the text without specifying a study for these letters as the researchers has done. Consequently, this study in a novel on in textual linguistics. The researcher has found that the letters of Mai Ziada are the best analyzable literary model because of the availability of the structural, pragmatic, intentional and acceptable structures as well as the deliberative dimension. This study has specialized in intentionality and its impact on the text as well as the role of the participants in producing and receiving them. This study tackles the concept of intentionality in the lexical and rhetorical thought since the beginning of time leading to the modern concept of linguistics. This study titled as:" The Manifestations of Intentionality in the Letters of Mai Ziada'' including a number of titles including the intentionality of the author, language, subjectivity, text and reader.

Methods: The researcher will adopt the descriptive-analytical methodology for this study. She will collect material related to purposefulness, initiating her exploration of the topic with an overview that discusses the concept of purposefulness in ancient times. Subsequently, she will address its modern conceptualization.

Conclusions: The importance of the study is represented in the creativity of the study which gives a rise to the linguistic kingdom enabling the researcher to serve the Arabs. The researcher concludes the study with the main results as well as the main resources.

Keywords: *Expressions; Purpose; Mai Ziada.*

المقدمة:

إن هدف هذه الدراسة هو الكشف عن تجليات المقصدية في رسائل مي زيادة، والبحث في أساليبها الكلامية، فقد استطاعت الأديبة أن ترسم السبل اللغوية التي يسرت توصيل مقاصدها للمرسل إليهم أو المتلقين، ومن البديهي أن المعنى هو الذي يتحكم في اختيارات المؤلف اللفظية والتركيبية؛ لتحقيق الفائدة منها. ورسائل مي زيادة قائمة على وظيفة الإبلاغ والتواصل، ومن الجدير بالذكر، أن القصدية تتعلق بمعنى المعنى خصوصًا الذي يرتبط بالسياق، والباحث يعبر من المعاني السطحية إلى المعاني العميقة ويلتفت إلى جميع مكونات الموقف الكلامي من متكلم، وكل ما يتعلق بشخصيته ومستواه الثقافي، يضاف إلى ذلك شخصية المتلقي وما يناسبها من أسلوب لغوي، والموقف الذي قيل فيه الكلام.

مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدّراسة حول معظم الدراسات السابقة التي تناولت رسائل مي زيادة من الجانب الأدبي فحسب، وأغفلت الحديث عن المقصدية، فلم تكن حاضرة في مؤلفاتهم رغم حاجة العصر لها، وكل ما جاء في الدراسات يدور حول المفاهيم البلاغية والأدبية ومحاولة توظيفها، أما الجانب اللغوي فلم نجد دراسة متخصصة في هذا المجال.

أهميّة الدراسة:

تكمن أهميّة الدّراسة في تسليط الضّوء على نحو النص في رسائل مي زيادة، التي شغلت الأوساط الأدبية والفكرية فترة طويلة من الزمن، إذ تسعى إلى تحقيق ذلك من خلال الكشف عن ملامح المقصدية في تلك النصوص الأدبية، ومدى تأثيرها على اللّفظ والدّلالة في السياق، وعلاقتها في تجسيد المقام الذي قيلت فيه.

ومن هنا يتمحور الاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة، التي تناولت الرسائل من زاوية أدبية فقط دون التعرض للمقصدية، وفي جلّ ذلك وحيرة لم تطل، كان لا بد من عمل أدبي يهدف إلى تجلية المقصدية في رسائل مفكرة عربية لم ينصفها الباحثون، والتي قالت ذات يوم: "أتمنى أن يأتي بعدي.. بعد موتي من ينصفني ويستخرج من كتاباتي الصغيرة المتواضعة ما فيها من روح الإخلاص والصدق والحمية والتحمس لكل شيء حسن وصالح وجميل لأنه كذلك لا عن رغبة في الانتفاع به".

ومن مقاصد هذه الدراسة:

- الوقوف عندالمقصدية والسياق ولغة الخطاب وأثر ذلك في التماسك النصي.
- الكشف عن مقصدية المؤلف والنص والمتلقي من خلال رسائل مي زيادة.
- صياغة رسائل مي زيادة صياغة لغوية جديدة من منظور نحو النص.

الصعوبات:

تكمن الصعوبات في كون رسائل مي زيادة مبعثرة هناك وهناك في كتب أدبية متفرقة، ولم تجد الباحثة دراسة لغوية متخصصة في مقصدية النص في رسائل مي زيادة، ويضاف أيضًا حداثة الموضوع، وقلة المصادر التي تعرضت للجانب اللغوي في هذه الرسائل.

وفي الختام، من الأهمية بمكان أن تظهر دراسة تبصّر بمواقع الإبداع، وتوقظ الملكة اللغوية، وتتيح للباحثة فرصة لخدمة أبناء اللغة العربية

الدراسات السابقة:

تزخر المكتبة العربية بدراسات كثيرة تناولت المقصدية، ولم تجد الباحثة دراسات سابقة أو أبحاث محكمة تحدثت عن المقصدية في رسائل مي زيادة على وجه الخصوص، سوى بعض الدراسات التي تناولت نصوصا أخرى وكان أهمها:

- جبار سعيد .المقصدية أسسها المعرفية وأبعادها في خطاب التخييل. بحث منشور، مجلة سرود 2019.
- محمد نعار، المقصدية والبلاغة ، مسالك في التداول والحجاج، بحث منشور ، مجلة المعيار 2013.
- شداق بو شعيب، مقصدية العمل الأدبي، بحث منشور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، 2004.
- بريحة ، عثمان، مقصدية الخطاب القرآني ، بحث منشور، جامعة قاصدي مرباح 2016 .

ومهما يكن من أمر، فإن الباحثة ستعمد إلى الرجوع إلى الكتب التراثية لدى القدماء، وبعض الدراسات الحديثة التي تناولت بالدرس موضوع المقصدية.

منهجية الدراسة:

ستعتمد الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لهذه الدراسة، إذ ستقوم بجمع المادّة التي لها علاقة بالمقصدية، فالتفت هذه الدراسة إلى المقصدية في رسائل مي زيادة، واعتمدت الباحثة في بناء قوامهاعلى مقدمة ومدخل وثلاثة عنوانات وهي: مقصدية المؤلف وتشمل: مقصديةالعنوان، ومقصدية اللغة، والمقصدية في الموضوعية، والعنوان الثاني التفت إلى مقصدية النص والثالث اختص بمقصدية القارئ.

مدخل:

كانت البلاغة هي الأساس الذي انطلقت منه القصدية إلى فضاء النص؛ فمفهوم القصدية قائم على الغاية وبلوغ الهدف، والقصد مرتبط بنية المتكلم أو القائل وما يريد تبليغه، وقد عرّفها القزويني بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال. (قزويني، 2018) ومن شروط البلاغة انتقاء الجميل من المقاصد والألفاظ الذي يؤثر في المتلقي، ويوصل المعنى المقصود.

وبناء على ما تقدم، فإن المقصدية في الفكر القديم انطلقت من نظرية النظم التي نصت على ترتيب المعاني أولا في ذهن المنتج أي: تحديد مواقع المعاني في النفس، ومعلوم أن المعاني دائما متغيرة الألفاظ؛ وذلك تبعًا للظروف المحيطة بالمنتج، والنص، والمتلقي، كذلك المقام الذي يحل فيه المخاطب. وتكمن أهمية المقصدية في تخير الألفاظ تبعًا للمقام الذي يناسبها، وعلى هذا الأساس تنصنف الألفاظ عند البلاغيين إلى حسنة أو رديئة وهذا يعني أن البلاغة عند القدماء تراعي جانب اللغة في الاستعمال.

ولا يختلف كثيرا مفهوم المقصدية عند روبرت دي بوجراند الذي يعرفهابأنها قصد منتج النص من أي تشكيلة لغوية ينتجها ومتبعة مقاصدها وتحقيق أهدافها، من خلال كل الطرق التي يلجأ اليها المنتج لبلوغ الهدف وترى الباحثة أن هذا التعريف الأوضح لمفهوم القصدية التي تعد هدفا لمُنشئ النصّ من كونه صورةً ما من صور اللغة،قصد بها أن تكون نصًّا يتمتَّع بالسَّبْك والالتحام.

تجليات المقصدية في مراسلات مي زيادة:

أولًا : مقصدية المؤلف:

1. العنوان

تتجلى مقصدية مي زيادة في العنوان واللغة والموضوع، يرتكز دور منتج النص بوجه عام على أيصال المعنى إلى المرسل؛ إذ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عند قصده، كذلك يتطلب منه اختيار الأسلوب اللغوي الذي يتكفل بنقله إلى المتلقي أو القارئ، مع مراعاة مقتضى الحال، والعناصر السياقية الاخرى بما في ذلك الظروف المحيطة في النص. لعله يحسن أن تتوقف الباحثة عند مقصدية الأديبة من خلال بعض العناوين.

وليس خافيًا أن العنوان في حد ذاته رسالة تبين مقاصد الكلام ، ثم إن المكتوب يُقرأ من عنوانه فهو بوصلة النص، ويخصص موضوعه، ومن خلاله نستطيع تحديد دلالاته، وعلى سبيل المثال لا الحصر، رسالة الثناء التي وجهتها مي إلى يعقوب صروف وقد بدأتها بعنوان أستاذي العزيز فهذا الخطاب يوحي ما تكنه مي من احترام وتقدير له فتقول: "فتحت اليوم أحد الأجزاء فرأت عيني صورة رجل ترصع الأوسمة صدره جمالًا.

كل سنة من سنيّ المقتطف وسام خالد على صدرك لا ينال الصدى من تبره ولا تعرف الغش درره، بل إن ما فيه من السناء أبدي التألق على كر الدهور". (سعد، 1982، ص 129) تحاول الأديبة أن تبسط من خلال هذه الرسالة ما تقصده على شكل أفكار متتابعة، وجمل مترابطة وأسلوب فيه تؤدة و سهولة و رفق واحترام وتقدير من مي إلى أستاذها يعقوب صروف إلى المرسل إليه.

لا شك أن العنوان في الرسالة السابقة عبارة عن جملة افتتاحية توضح غرض الرسالة وقصد الأديبة من إنشائها ولذا كان لابد فيها من وجود طرف منتج لهذا الكلام بمستوى من المستويات الفنية وهو (المرسل) وطرف متلقٍ لهذا الإنتاج وهو (المرسل إليه) أو القارئ. والرسالة مجال رحب للسردية والحوار والتعبير عن الأفكار، واستخدام الأسلوب الذي تفرضه طبيعة الرسالة ومضمونها الذي يقصده الكاتب.

ورسائل مي تأخذ بعين الاعتبار ما يتطلبه المقام الخطابي بينها وبين المرسل إليه كما يبدو في الرسالة السابقة، فدلالة العنوان لا يمكن أن تقف عند حد يصل إليه القارئ؛ لأنها دلالة مراوغة، فهو نص مفتوح غير مغلق عصي على القبض، يحتمل تأويلات عدة، الأمر الذي يدفع القارئ إلى تحديد دلالة للعنوان من خلال البحث في تعالقه النص اللاحق دلاليًا ولغويًا؛ فالعنوان والنص يشكلان بنية دلالية كبرى، بمعنى أن العنوان يولد معظم دلالات النص؛ فهو علامة لسانية تقودنا إلى ماهية المضمون، ويدلل دلالة واضحة على انسجام النص وترابطه.

يدفعنا العنوان باتجاه عالم النص على الرغم من أن له وجوده المستقل وغوايته المثيرة؛ إذ يعد علامة كاملة ومؤشرًا حواريًا مستفزًا لا يمكن للقارئ تجاوز عتبته لكونه جزءا دالا ومسهما في توضيح دلالة النص، يكشف عن طبيعته ويفك غموضه، ويقع على عاتق المبدع التخطيط البناء في وضع عنوان جذاب مؤثر يلفت انتباه القارئ.

لقد جعلت مي زيادة من العناوين محورًا قصديًا يؤكد الأهداف والأفكار التي جاءت في صلب الرسائل، فأسلوبها يقوم على حُسن الانتقال من العنوان إلى الفكرة الرئيسية وبَراعة الحوار، وترى الباحثة أن العناوين في الرسائل تبتدئ وتنتهي بتعابير تختلف باختلاف الأشخاص الذين ترسل إليهم، إضافة إلى اختلافها عن العناوين في المقالات أو القصص أو الروايات، إذ تأتي على النظام الفني للرسائل بدءًا بذكر اسم المرسل ثم جملة افتتاحية تبين سياق الرسالة ويتضح ذلك في رسالة وجهتها مي إلى ممرضتها استير واكيم والتي تعاطفت معها في مستشفى ربيز في بيروت تقول فيها:

"من مي إلى استير واكيم: جاؤوني في مصر وأنا بعد في حزني يقولون: سافري يا مي إلى لبنان، في لبنان أهلك، حرام أن تبقي هنا وحدك. وحملت نفسي إلى لبنان، على أن أجد في لبنان سندًا لرأسي التعب و قلبي الممزق، و عزاء لأحزاني. وفي لبنان لقيت الغصص مرة، وفي لبنان حملت إلى العصفورية على أني مجنونة، و بكلوني بالجاكيت. وفي العصفورية ذقت الموت مرات. وبقيت 11 شهرًا إلى أن نقلت ولا أدري كيف نقلت إلى هنا" (سعد، 1982، صفحة 285).

وبناء على ما تقدم فإن العناوين في الرسالة عبارة عن مرسل ومرسل إليه متبوعة بجمل افتتاحية تبين الغرض من المراسلة، ومن الجدير بالذكر، أن المرسل إليه هو الذي يحدد هوية الرسالة ويضبط انسجام أفكارها؛ فالخطاب الموجه ليعقوب صروف كأستاذ يختلف تمامًا عن الخطاب الموجه لممرضتها، ويتبين من الرسالة السابقة أن الكاتبة تتحدث عن مأساتها في المستشفى، فهي تشكو لممرضتها وضعها النفسي والصحي؛ لتثير قضيتها لرأي العام وبالتالي تضع حدا للشاكين والمشككين بجنونها.

والملاحظ أن أسلوب مي في رسائلها يختلف من رسالة إلى أخرى؛ إذ تختلف الأساليب الفنية باختلاف المواضيع التي عالجتها كما قرأنا في الرسالة السابقة، فقد اختارت مي ألفاظًا ودلالات تناسب السياق الذي قيلت فيها وتلائم ذلك الموضوع الذي تناولته، والرسالة عبارة عن ملفوظات لغوية ومجموعة من المقاصد والاهداف يعبر عنها المرسل كالحب والخوف والقلق والكراهية، وثمة مقاصد مخفية تحت عباءة الألفاظ تتعلق بالمتلقي القارئ الذي يبحث عنها من خلال حالة المبدع النفسية والظروف السياسية، والاجتماعية المحيطة بالرسالة، فهناك مقاصد مباشرة وهناك غير مباشرة، ومن خلال البحث عنها يستطيع المتلقي تأويل الرسالة تأويلًا صحيحًا وسليمًا.

في موضع آخر ترسل مي رسالة إلى باحثة البادية، وتشرح فيها كيف تأثرت بكتاباتها التي لامست جروحها النفسية وأوجاع المرأة العربية التي تبحث عن حريتها فتقول: من مي إلى باحثة البادية" بالأمس لمست نفسك وقرأت أفكارك فعثرت على جراح بليغة وددت تقبيلها بشفتي روحي وما أطبقت الكتاب إلا وأنا ألثم بناني على غير هدى ولم يكن ذلك إلا إجلالًا لصفحات قلبتها وحبًا لنفس استجوبتها فعرفتها"(سعد، 1982، صفحة 220).

استهلت مي رسالتها بعبارة (من مي إلى باحثة البادية) وهو الاسم المستعار للكاتبة المصرية ملك حفني ناصف بنت اللغوي المعروف حفني ناصف، وهي أديبة ومصلحة اجتماعية، احتلت مكانة رفيعة في الحياة الأدبية والاجتماعية، عرفت بمناصرتها لحقوق المرأة ودعوتها للإصلاح الاجتماعي. إلا أنها آثرت الدعوة إلى تحرير المرأة واتخذت طريقها لتحقيق ذلك، فنشرت العديد من الكتابات الهادفة والتي تطرقت إلى حقوق المرأة المصرية في التعليم والزواج والطلاق وغيرها.

وبناء على ما تقدم، يستطيع المتلقي قراءة الرسالة من خلال عبارات الاستهلال أو يكتفي باسم المرسل إليه ليستدل على مضمون الرسالة، ورسائل مي وليدة ذلك الواقع السياسي، والاجتماعي، والثقافي، لقد كانت مجالا لطرح المسائل الإنسانية والثقافية، ومعروف أن باحثة البادية كانت رمزًا للمرأة المتمردة على العادات، والتقاليد الظالمة ورأت مي نفسها فيها، فبدأت بمراسلتها في مسائل تخص المرأة العربية .أما رسائلها إلى يعقوب صروف كانت منحصرة في المواضيع الثقافية والفكرية، وهناك الرسائل العاطفية التي تبادلتها مع جبران خليل جبران، وعباس محمود العقاد، ورغم ذلك كانت لا تخلو رسائلها العاطفية من المسائل الثقافية (سعد، 1982).

وخلاصة القول: تساهم عبارات الاستهلال أوعتبات الرسائل الموازية للعناوين في تأكيد مقصدية المؤلف، وتشكل مدخلًا سريعًا إلى المضمون.

وهناك كتب كثيرة تخصصت في دراسة العناوين مثل: كتاب عبد الحق بلعابد (عتبات جيرار جينيتمن النص إلى المناص) فالعنوان في مفهوم (جينيت) عبارة عن مجموعة من العلامات اللسانية تتكون من مرسل ومرسل إليه، ومن ذلك نتعرف إلى مضمون النص ومقاصده (يقطين، 2008).

2. مقصدية اللغة

تكمن وظيفة اللغة في التواصل، وفي كل ما يعبر به الناس عن أغراضهم، ووسيلة لتنظيم الحاضر بهدف بناء تصور إيجابي عن المستقبل، فاللغة أداة من أجل التعبير عن الذات و التواصل مع الغير الذي يعد طرفًا في العالم الخارجي، ولا يمكن العيش بمعزل عنه. اللغة ليست هي الألفاظ والجمل مجردة عن سياقها الزماني والمكاني والثقافي فحسب، ولا يمكن فهمها بعيدًا عن قصد المرسل وثقافة المتلقي. ولا نفهم اللغة إلا إذا فهمنا الكلام، ولا يفهم الكلام إلا إذا أدركنا هدف الاتصال.

ويلاحظ أن الكثير من صور التعبير قد لا يراد بها إيصال الأفكار إلى المخاطب، ومن هنا تبرز أهمية الوظيفة الثانية للغة، وهي: الوظيفة التبليغية التي تعني: اشتراك طرفين في عملية تبليغ المعلومات وإيصالها، وتبادلها بين اثنين أو أكثر.

إن المعنى المعجميَّ ليس كل شيء في إدراك المعنى، وقد أكد رائد المنهج السياقي الإنجليزي فيرث أن المعنى لا ينكشف إلَّا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي: وضعها في سياق مختلفوهذا ينطبق على النصوص، فدلالاتها قد تتغيَّر بتغيُّر سياقاتها؛ أي: المواقف التي أُنتجت فيها ورسائل مي زيادة تعد مثالًا متميزًا لصور التعبير، التي تحقق الوظيفة التواصلية وإيصالها للمتلقي أو المرسل إليه.

وتؤكد مي زيادة على وظيفة اللغة التواصلية في رسالة لها إلى يعقوب صروف تقول: "إن رسائل الاخبار الكبرى هي الصحف السيارة، وكل الغاية منها إيصال الاخبار الى الجمهور واطلاعه على ما يجري في بيئته وفي العالم من الشؤون والحوادث" (سعد، 1982، صفحة 103).

ومهما يكن من أمر، فإن اللغة تتكون من نوعين من الدلالات وهما: دلالة لغوية، ودلالة سياقية، وتأويل الرسالة وتفكيكها يعتمدان على نمط السلوك الخاص بالمتكلم، والظروف الاجتماعية، والسياسية المحيطة به، وكذلك النمط المغايرله والمتعلق بسلوك المخاطب، وثقافته، وقدرته على التأويل.

ولم يغفل الباحثون القدامى والمحدثين التعامل مع اللغة ضمن إطار الترابط النصي؛ فالألفاظ في رسائل مي زيادة تحمل من خلال سياقها أبعادًا دلالية مختلفة منها الاجتماعية، والفكرية، والفنية. وترى الباحثة أن رسائل مي زيادة هي رسائل واقعية وحقيقية تترجم أحداثًا مرت في حياتها وقد عالجت من خلالها مواضيع ثقافية واجتماعية مثل معالجتها للمادة الصحفية، وخير مثال على ذلك قولها في رسالة وجهتها ليعقوب صروف:" فإن لم تنقل لي تلك الصحف ما وجدت لنقله ونقل نظائره، فمن ذا يكون الرسول بين المؤلف الذي كتب للجمهور... فالصحافة سجل الوقائع اليومية، والمرآة التي ينعكس عليها من نفسية البيئة الصور المتتابعة التولد" (سعد، 1982، ص 104) نلاحظ من خلال الرسالة السابقة أن الأديبة استخدمت ألفاظًا تعبر عن الموضوع الذي طرحته، وكل لفظ له دلالته الخاصة به مثل: (سجل، وقائع، مرآة) وهذه الكلمات تصرح بالموضوع وتساهم في ربط الافكار الجزئية ضمن الفكرة الكلية، فالرسالة تعالج فكرة مركزية هي فكرة تمثيل الصحافة للواقع، ويتبين أن مي زيادة وفقت في اختيار الألفاظ لتحقيق المقصدية، والترابط النصي من خلال ربطها بالسياق، والظروف المحيطة بالكاتبة .

هناك حالات تلجأ فيها الكاتبة إلى نظرية الحقول الدلالية، واستخدام الكلمات المتجانسة كما مر معنا سابقًا، التي تخدم موضوعاتها؛ فنلمح في رسائلها ألفاظًا مبنية على التشابه في المعنى مثل قولها:" لكن الزوجة والأم التي أعطيت ذكاء وفطنة" (سعد، 1982، ص 220) واستخدمت في حالات أخرى كلمات متضادة تقول:" تدرك بواسطته كل ما في الحياة من حلاوة ومرارة" (سعد، 1982، ص 220)

لقد استخدمت مي لغة مترابطة منطقيًا، وأحسنت من خلالها التعبير عن مقاصدها وأفكارها فقرأنا من خلالها شخصيتها وما تريد أن تقول وهذا يعني ببساطة أنها تمتلك أداة التعبير والمهارة اللغوية التي أوصلت المخاطب إلى هدفها بدقة وإحكام. وعلى ذلك، يمكننا القول: إن الكلمات لا يمكن أن تأخذ دلالتها إلا داخل نظام متماسك نحويًا ودلاليًا، يتحدد معنى كل كلمة فيه من خلال علاقتها بألفاظ أخرى، ولم تأت تلك الكلمات مبعثرة، وإنما هناك نظام متجانس تكون فيه يأتي على شكل مجموعات تشمل المعاني المتقاربة ذات السمات الدلالية المشتركة، ثم جعلها تحت لفظ عام يجمعها.

على سبيل المثال لا الحصر، الألفاظ التي تخص الجسد، توضع تحت لفظ عام وشامل، إضافة إلى الأسلوب اللغوي الذي يختص بها، وما يميز رسائل مي زيادة عن غيرها هو اختيارها للألفاظ المناسبة للمواضيع التي تطرحها، وحرصها على تنويع الأساليب؛ لتحفز نشاط القارئ. وفي رسائلها صورة كاملة تمثل هذه السمات، تذكر الباحثة مثالًا على ذلك، رسالتها إلى يعقوب صروف تقول: "هذا حديثك وأنت تعرفه وقد لا تعرفه ولكنه كذلك على كل حال وما أناقة رسائلك إلا من أناقته... وما أبلغ تلك الجمل القصيرة الموزونة" (سعد، 1982، ص 162).

وبهذا يمكن القول: بنيت قصدية مي زيادة على وظيفة الإفهامية الموجهة نحو المخاطب والمتلقي، وفي الرسالة السابقة توجه الكاتبة عبارات الإطراء والثناء ليعقوب صروف من خلال الأساليب اللغوية المتنوعة، ومن العجيب أنها اجتمعت في رسالة واحدة؛ فقد

وظفت أساليب الاستدراك، والحصر، والتعجب، والنفي، وغيرها، بالإضافة إلى ما يحمله النص من رموز وتلميحات ودلالات تؤكد وظيفة اللغة الأساسية وهي الإفهام، وتحقيق مقصدية المؤلف، ومن هنا تكمن قوة الربط في حقيقة العلاقات اللغوية بين الكلمات، وكذلك في الوحدة الموضوعية للرسالة.

وفي ضوء الرؤية الشاملة لرسائل مي زيادة واتساع محتواها الفكري واللغوي نجد أن المرسل إليه شريك أيضًا في إنتاج المعنى، فقد كانت الكاتبة تراسل صفوة المجتمع، وكبار الأدباء، وعمالقة الفكر في عصرها، وكانت مي تدرك أهمية المرسل إليه وما تقوله مي في رسائلها يعلمه المخاطب ويعرف ما تريد أن تخبره به، وعلى هذا ترى الباحثة أن المعنى يخرج إلى كثير من المعاني، وكل قراءة جديدة يتولد عنها معان جديدة، وهذا يعتمد على تأويل المتلقي؛ لأن النص كائن حي ينمو ويكبر ويتجدد بتعدد القراءات.

إن اللغة هي سلسلة أحداث متتالية والجملة حدث كلامي، لكن في رسائل مي اللغة هي وحدة الموضوع وتنوع الأساليب اللغوية لتحقيق مقصدية المؤلف.

للرسالة أثر فاعل على المستوى الثقافي و الذهني للمتلقي يمثل ما يسمى اثر الكلام والمعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي: وضعها في سياق مغاير ينطبق على الرسائل، فدلالاتها قد تتغيَّرباختلاف سياقاتها، كذلك في المواقف التي أُنتجت فيها والمواضيع التي عالجتها .

احتلّت المقصديّة دائمًا جانبًا مهمًّا في نظريّة الأدب، ونظر إليها باعتبارها أمرًا مخطّطًا له في ذهن الكاتب ويفترض القول بالمقصديّة أن ننظر للأدب كلغة تواصليّة ومن الطبيعي أن يترتب عن هذا التصور النظر إلى القارئ باعتباره مجرّد مستقبل يقع عليه الضغط لجعله يستقبل مضمون الرّسالة أحسن استقبال، أي أن يفهم مضمون الخطاب ويقبل به، وهذا يحتاج إلى قارئ مثقف وواع ومدرك.

المقصدية في الموضوعية:

إن الموضوعية عمومًا تطلق على الابتعاد عن الذاتية، وعدم التحيز لأي رأي شخصي، أو رأي جماعي جاهز مسبقًا، كما أنها ترتبط بالمؤلف وثقافته الواسعة، وهي تخالف الذاتية في ارتباطها بالقارئ الذي يؤول النص ويمنحه تأويلًا جديدًا في لحظة تاريخية ونفسية محددة، وكل قارئ يتناول النص الأدبي من زاوية خاصة، ونزعة ذاتية انطلاقا من تجربة شخصية، أو ثقافة محدودة.

لا شك أن القراءة هي إعادة إنتاج للقارئ بصياغة جديدة، ورسائل مي زيادة تعد حقلًا معرفيًا وأدبيًا ثريًا بالموضوعات، فقد عالجت الكاتبة قضايا اجتماعية وثقافية معقدة، وذلك من خلال اختيارها للقضايا التي تشغل عقول الناس وتلامس الواقع، وتضيف الباحثة إلى ذلك الأفكار والمعارف الشاملة التي طرحتها بأسلوب لغوي متين يليق بمي زيادة الكاتبة والمؤلفة والأديبة.

وترى الباحثة أن مي زيادة كغيرها من الأدباء تأثرت في العصر الّذي فيه عاشت؛ لأنّه ما من أديب يعيش في فراغ إنّما هو نبت عصره، ينفعل بما فيه، يتأثّر ويؤثّر، ومي زيادةأصدق صورة للواقع الذي عاصرته بكل ما فيه من أحداث، يبدو ذلك من خلال نتاجها الأدبي الخالص، هي أشبه شيء بالمرآة التي تتلقى الصور ولا تعرف كيف تتلاقاها، لكنها مجبرة أن تتحدث عنها؛ لأنها الضمير الأدبي الذي لا يموت، والأدباء هم أئمة المجتمع وقادة الحضارة ومنارة العلم.

لقد استعمل هذا المصطلح عند الألمان مثل (هوسرل) الذي يرى أن هدف النظرية القصدية هو ربط الفكر بموضوع ما وتحليله دون تحيز ذاتي من الأديب؛ وذلك للكشف عن ماهية ذلك الموضوع أو الشيء؛ ولهذا فإن نظرية (هوسرل) في القصدية تدعى أحيانًا بالموضوعية.

والقصدية تصدق على مجالات الشعور كافة، فهي تطال الجوانب الانفعالية أو العاطفية؛ فالمشاعر التي يحسها الإنسان نحو شخص ما كالحب والكراهية هي جزء من القصدية، والشعور له موضوع يقصده يتعدى مجرد عاطفته الذاتية ويجعله مستقلاً عنه حتى تتحق الموضوعية، وعدم التحيز للوجدان والشعور الذاتي، يقودنا إلى القيم المثلى والاتجاهات النبيلة، ويرتبط اليوم مفهوم القصد في بعض الدراسات السلوكية المعاصرة بالأفعال الإرادية من حيث النية والهدف منها، خاصة إذا ربط الكاتب بين المشاعر والمنطق (بدوي، 1981).

وبناء على ما تقدم، لجأت مي زيادة إلى طرق وأدوات لتحقيق المقصدية الموضوعية؛ لذلك لجأت إلى توظيف الأفعال الاتصالية وتخيرت المواضيع الهادفة حتى تتلاق مع القارئ، وتتميز الكاتبة عن غيرها بأنها تمتلك أداة التعبير، فهي تدرك أن الكلام نشاط اجتماعي، والفعل سلوك قصدي، وهي كمؤلفة كانت تتناول القضايا الاجتماعية بموضوعية دون تحيز لرأيها أو لرأي طرف آخر، ومعلوم أنها كانت تنتقد أعز اصدقائها نقدًا بناء غير جارح، ويتجلى ذلك في رسالتها التي عاتبت فيها أحمد لطفي السيد؛ لتحتج على عدم دعوته للمرأة للاحتفال بتأبين فتحي زغلول تقول: "غريب أن تبخلوا على المرأة بحضور اجتماع يرفع إلى أسمى درجات التأثر المفيد، ويلفت عقلها إلى هيبة العلم وعظمة الفعل، ويعلمها إجلال الوطن ورجال الوطن" (سعد، 1982، ص 130).

لقد اعتزت مي بعروبتها وشرقيتها والتراث العربي القديم، وتتأسف على تأخر العالم العربي في مجال العلم والحضارة، ولم تكن عمياء عن ظلم المرأة العربية المقيدة بتقاليده القديمة، وتسلط الأقوياء على الضعفاء، والأغنياء على الفقراء، فكرّست قلمها لإثارة هذه الموضوعات، وأطلقت لسانها لمحاربة ذلك، ولم تر بأسًا في مستقبل النّهضة المرتجاة من أن يقتبس أساليب العلم الحديثة، وأن ينتفع بما توصّل إليه الغرب من تطوّر في الحياة الحضارية والاجتماعيّة، وهذه الأمور عالجتها الكاتبة في رسائلها فانتقدت المجتمع والصحافة والأدباء دونتجريح،"كانت رفيعة في نقدها رقيقة في مخالفة رأي غيرها، فما آذت شعورا ولا جرحت إحساسًا" (المقدسي، 1978، ص 483)

والمتأمل للرسالة السابقة يلاحظ اهتمام الكاتبة بالمواضيع العامة التي لا تخصها مثل قضية ظلم المرأة وتهميشها في المجتمع العربي الذكوري، فقد تناولت الحديث عن ذلك بموضوعية، كان الهدف منه محاربة الظلم ونصرة المرأة العربية في كل مكان، قدمت نقدًا مغلفًا بالاحترام، دون تحيز لرأيها أو إساءة للغير، والكاتبة تستلهم من واقعها ما يدعوها للتأثر والانفعال.

وفي موطن آخر تناقش عباس العقاد إذ تقول: "كنت أتمنى أن تكون رفيقا بحواء، فإن حواء تعتبر بأنوثتها الضعيفة القوية في وقت واحد، وهي إن قبلت الطاعة، فلن تقبل السيادة" (سعد، 1982، ص130).

إن الرسالة التي بين أيدينا تمثل الانسجام في الخطاب، فهي مقصورة على الإبلاغ بأقل عدد ممكن من العبارات، كما تحيل الكلمات فيها إلى صور أخرى للظلم الاجتماعي؛ وهذ الرسالة دليل على الدوافع الخارجية لإنشائها ونعني بذلك: السياق الخارجي للنص، ونلمح فيها صدق النوايا والمقاصد، والشاهد على هذا قوة الانفعال المنبعثة من الكلمات، ثم أنها بعيدة كل البعد عن الغموض ليفهم المتلقي قصد المرسل.

ومعلوم أن مي زيادة تكتب بأسلوب لغوي صريح ومكشوف، ويجتمع في رسائلها السياقان الخارجي والداخلي لمناسبة المقال للمقام، وهي تخاطب المرسل إليه بأسلوب لبق يتقبله مأمورًا، أو مستمعًا، أو منهيًا، وهذا يدل على أن معظم المخاطبين في رسائل مي يؤمنون بصدقها وأهليتها للكتابة والإبداع، والمبدع إذا كان صادق النية ومثقفًا وملما بالمعلومات، يبلغ مقصده بأيسر السبل، وفي مجمل ذلك تعتمد مي زيادة على التضاد والتناقضات والتكرار والإحالات، كل ذلك في سبيل توضيح رسالتها للمتلقي.

إذن، تضح المقصدية هنا في الترابط المفهومي الذي تحققه أدوات الترابط النصي بين الجمل، بالإضافة إلى تفاعل المتلقي بانفعال المرسل مع أقواله وصدقه في التعبير، وامتلاك الأهلية في الكتابة، التي تشمل عناصر الاتصال والوظائف اللغوية، ومراعاة حال المرسل إليه ومقامه، لكي يتقبل الرسالة التي تحمل في طياتها الموضوعية، ويربط بينها وبين موقف المرسل البعيد كل البعد عن النزعة الذاتية، والتحيز لآرائه الشخصية.

ومهما يكن من أمر، فقد حرصت مي زيادة على تلاؤم أجزاء الرسالة مع بعضها، إذ نجد أول الرسالة متشابهًا مع آخرها فلا تتخالف أطرافها ولا نلمح تنافرًا بين الكلمات؛ لأن كل جملة تفسر الأخرى، فتعددت الأساليب اللغوية المستخدمة كالاستفهام والاستنكار، وأساليب أخرى توظف من خلالها التعجب. وليس بالضرورة أن تلجأ إلى التشابه والمطابقة حتى تلائم الأجزاء، أحيانًا يوظف الأديب الطباق والمقابلة بين الجمل لتجلية المعنى، وتحقيق مقصدية النص، وهي أمور واجبة في صناعة الكلام (العسكري، كتاب الصناعتين).

تضيف الباحثة إلى ذلك، يجب توفر الرغبة عند المتلقي للحصول على الفهم وبالتالي تفاعله مع الرسالة وربطها بأفكاره ومخزونه الثقافي؛ ليقدم لنا قراءة جديدة هي نتاج اجتهاده التأويليّ.

قد فرّق "جيروم" بين القصد النفسيّ والقصد الجمالي، فالأول مرتبط بالمؤلّف؛ أي: ذلك التصوُّر القَبْلي للعمل في ذهن المبدع قبل الإبداع، أما الثاني فمرتبط بالنصّ نفسه، ويرى "جيروم" أن القصد النفسيَّ قد يكون مضلِّلًا في تفسير العمل الفني؛ وذلك لأنه يصعُب الوصول لهذا القصد، كما أنه قد يكون قصدًا متعدِّدًا، ومُتغيِّرًا أثناء التجربة الإبداعية، أمَّا القصد الجمالي، فهو قصد العمل الذي "يحثُّ الناقد على أن يتساءل: ماذا يحاول هذا العمل أن يُحقِّقه بوصفه أداةً من أدوات المبدع. لا شك أن مي زيادة عانت من تجارب نفسية مؤلمة ولكنها كانت واضحة وعبرت عن تجربتها الذاتية في رسائل خاصة دون تضليل حتى حبها لجبران خليل جبران كان ملاذًا وتهربًا من وحدتها ومعاناتها من المجتمع الظالم المحيط بها في تلك الفترة.

لقد تجنبت الكاتبة النفاق الاجتماعي والمجاملات الزائفة، رغم تنوع رسائلها بين العاطفية، والإخوانية، والأدبية، والذاتية وترى الباحثة أنها تبقى على تنوعها في دائرة الرسائل الأدبية العامة، التي تبادلتها مع خيرة أدباء عصرها علنًا، وجل رسائلها لا تخلو من الحديث عن قضايا المجتمع العربي بشفافية وموضوعية، هدفها القصد الجمالي بعيدًا عن القصد النفسي، الذي يميل إلى النزعة الذاتية، وهذا ما تجنبته مي في مساجلاتها.

ثانيًا: مقصدية النص:

إن بنية النص تشكل حلقة وصل بين المرسل والمرسل إليه والخطاب، ولم يعد سائغًا النظر إلى النص في ذاته كقشرة خارجية منفصلة عن السياق، ولتسهيل عملية الإفهام لا بد من تأويل الأفعال الكلامية المنجزة من المؤلف، والتي اختارها لتحفيز المتلقي والتأثير عليه؛ ولهذا أصبحت مقاصد المتكلم علامات ضوئية يهتدي من خلالها القارئ إلى عملية التأويل.

وتأسيسًا على ذلك، فإن قصدية رسائل مي زيادة قائمة على وظيفة الإفهامية الموجهة نحو المتلقي، أو المرسل إليه، فراعت الأديبة في إنشاء رسائلها عدة أطراف مثل: مقصديتها كمؤلفة، ومقصدية النص ومقصدية المتلقي.

إن الرسالة كعمل أدبي أنشئت في ظل سياقات ثقافية وتاريخية واجتماعية وسياسية مختلفة؛ لهذا من الطبيعي أن تتأثر مي كغيرها بكل الظروف المحيطة بها، فهي ابنة البيئة التي نشأت وكبرت فيها.

والرسالة هي شكل من أشكال التواصل والتفاعل بين الناس؛ لهذا اهتمت الكاتبة بتوظيف كل المقاصد الاتصالية التي تساعد على التماسك النصي، واستخدام النحو الملائم لتوليد الجمل المتتابعة، وهذا يترتب عليه وجود دلالات جديدة مترابطة ومختلفة، يمكن للمتلقي إنتاجها في النص، ربما غفل عنها المؤلف أو الجمهور الذي عاصره.

ومن خلال الرسائل التي وقفت عليها الباحثة، وجدت أن مقصدية النص تجلت في وحدة الموضوع وعلى سبيل المثال رسالتها إلى أمين الريحاني، إذ تصف من خلالها موسيقى الأجراس في لبنان فتقول: " فأين منها شدو الأجراس اللبنانية ذلك الشدو الشرقي البلدي الديمقراطي ينطلق من كل صوب في الأعالي والأداني...حتى ليملأ الهواء عزيفًا وحنينًا ساعات طويلات" (سعد، 1982، ص 167).

إن الانتقال بين الافكار بأساليب مختلفة كالاستفهام الاستنكاري والتعليل والتعجب شجع المتلقي على التفاعل مع النص. وعملية الفهم التي تبدأ من أول الرسالة إلى آخرها هي مرتبطة بالمتلقي أولًا ومقصديته؛ لأن العمل الأدبي لم يعد ملكًا للمنتج أو المبدع.

أما الأساس الآخر في المقصدية هو المنتج، ويفهم من هذا الكلام أن الرسالة تقتضي تعاونًا مشتركًا بين المؤلف والمتلقي، واللغة هي أداة المنتج في التعبير، بالإضافة إلى وظيفتها الاجتماعية ودورها التواصلي. واستخدمت مي زيادة الأساليب البلاغية المختلفة لتُصوّر للقارئ خيالًا جميلًا في ذِهنه، فاستحضرت الوِجدانيّات بِأسلوب غامِض وألفاظ روحيّة. ووجهت رسائلها للنّاس كافّةً، وبفئاتهم المُختلفة.

إضافة إلى ما سبق، لجأت الكاتبة إلى العرض التسلسلي في الكتابة، والسرد التشويقي في عرض الأفكار، والانتقال من جملة إلى أخرى بروابط نحوية، وإحالات داخل النص وخارجه، واستخدام الأساليب الإنشائية المختلفة، وتوظيف كل ما يتعلق بمرسل النص ومتلقيه، كل ذلك يؤدي إلى التماسك النصي وتحقيق معياريّ القصدية والمقبولية.

وبناء على ذلك، فإن النص لم يعد يقتصر على منتجه، فقد رأى رولان بارت أن النص ملكًا للقارئ، يتصرف فيه بالطريقة التي يريدها، ولذة الكتابة لا تتأتى إلا من لذة القراءة، واعتبر بارت أن القارئ الجيد تقع على عاتقه مهمة إنتاج النص مرة أخرى.

يقوم مفهوم النص عند رولان بارت على نسيج لُغويّ له مظهران دال ومدلول، يتولّد في حالة من اللاوعي لدى الكاتب ويكتب في الوعي، مكوّنًا بذلك نصًّا براقًا يجذب القارئ إليه، ويخلق لديه نوعًا من التفاعل الحرّ مع عالم متخيّل، فإنّ مفهوم النص عند رولان بارت لا يتحقّق إلّا من خلال تفاعل المتلقّي مع النص، وشرحه وفَهمه وتحليله والتفاعل معه تفاعلًا واعيًا ينقله من مستوى الشرح والوصف إلى مستوى التأويل. إذن، يعد القارئ الوسيط الحقيقي بين المنتج والنص، فهو طرف أساسي في عملية التحليل والإحاطة بظروف النص الخارجية والداخلية. والنص يتألف من كتابات متعددة ناتجة قراءات مختلفة وثقافات متعددة، وليست هذه النقطة هي المؤلف إنما هي القارئ.

ويرى رولان بارت أن النص يبدأ مع قارئه، ويتألف من كتابات متعددة تنحدر من ثقافات عديدة، تدخل في حوار مع بعضها البعض، وتتحاكى وتتعارض، بيد أن هناك نقطة يجتمع عندها هذا التعدد، وليست هذه النقطة هي المؤلف وإنما هي القارئ، فوحدة النص ليست في منبعه وأصله، وإنما في مقصده واتجاهه، في حين يهتم "امبرتو ايكو" بفاعلية القارئ فإن نقرأ معناه أن نستنبط، ونخمن، ونستنتج انطلاقًا من النص سياقًا ممكنًا يجب على القراءة المتواصلة إما أن تؤكده وإما أن تصححه، والأمر يتعلق بترسانة من الأفكار أو بذاكرة جماعية (بارت، 1992).

فالقارئ الضمني هو صورة الكاتب المختلفة عن الكاتب الحقيقي والسارد داخل النص، فهو الذي يقوم القارئ ببنائه انطلاقًا من النص، وهو النظام والإطار المرجعي للنص، الذي يحقق مجمل الشروط والخطوات التي يمكن اتباعها لفهم النص وتأويله، ومنها: التركيز على منظور معين في القراءة، وإدراك النص ككائن حي ينمو ويتطور فهناك قراءة تجعله نصًا مفتوحًا، وهناك قراءة تغلقه على نفسه (بارت، 1992).

ويفهم من ذلك، أن الإشارات الفرعية، والإحالات الجانبية، تحقق لذة الوصول إلى المعنى المراد الذي يقصده المنتج وملء الفجوات لإزالة الغموض وخلق الانسجام، فالضمائر بأنواعها، والعلامات، والمؤشرات السياقية، والسياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والتاريخية، والثقافية، تعمل على فهم القارئ للنص والكشف عن مقصديته.

وجملة القول: تركز سيميائية القراءة على المتلقي باعتباره قارئًا مفترضًا له خبرة كبيرة في إعادة بناء النص، تفكيكًا وتركيبًا؛ وذلك باستكشاف البنيات النصية المضمرة، والبحث في كيفية بناء الدلالة والمعنى عن طريق المكونات الشكلية والجمالية. إذ يتوقف ما ينقله النص لنا على طبيعة الأسئلة التي نطرحها عليه، وعلى قدرة القارئ أيضًا على فهم السياق التاريخي الذي كتبت فيه الرسالة.

ويتم تأويل النصوص عبر مراعاةمقصدية الكاتب، ومقصديةالنص عبر السياقين الداخليوالخارجي، وإذا كان القارئ الناقد يتكفل بتوجيه المعاني وإن وجد القارئ في بعض ذلك شيئًا من الذاتية، فإن ما يضبط تلك المعاني والدلالات أدوات بنيات النص وآلياته، ومقاصد المؤلف أيضًا، فلا يمكن أن نلغي دوره في التأويل.

يستعد القارئ لتفكيك النص والوصول إلى بنياته الاساسية ومقاصد المؤلف التي ضمنها إياه والتي قد يتجاوزها في كثير من الاحيان. وبما أن النص يواجه أثناء عملية قراءته مجموعة من القراء ليس بالضرورة أن يكونوا على قدر واحد من المستوى الفكري والعلمي والاجتماعي والطبقي، فقد تختلف درجات وعيهم على المستوى اللغوي والعقلي، وتختلف درجة ثقافتهم مما يجعل التأويل النصي مختلفا عندهم،منتجًا بذلك حزمًا من الانزياحات الدلالية، فيتشكل نتيجة هذا التباين قراءات مختلفة.

إن جمالية التأويل تتحقق داخل النص، وليس خارجه؛ وذلك من خلال استنطاق القارئ لمعاني النص الغنية بالجمالية والفنية. وتأسيسًا على ذلك، فإن اللغة تجمع بين تحقيق وظيفتين أساسيتين، هما المقصدية وجمالية التلقي.

والأصل في انتظام المعاني واتصال الكلام هو تحقيق الاستمرارية المعنوية، التي توفر للرسالة نسيجًا متماسكًا نحويًا ودلاليًا؛ فاتصال الكلام وانتظام المعاني يؤديان بالضرورة إلى المشاكلة بين أجزاء القول، لما كانت المشاكلة مما يحوج إلى دقة نظر ولطف فهم، فقد غاب عن رواة الكلام ما لم يغب عن أصحابه، ما ينتظم القول فيه انتظامًا يتسق به أوله مع آخره على ما يقصده قائله.

أن النص الأدبي عبارة عن آليات لغوية وبلاغية، تفرض على القارئ نوع القراءة التي ينبغي اللجوء إليها، وهي قراءة انزياحية عن المعنى الجاهز، أو الحرفي للنص المرتبط بالألفاظ، وما نقصده هنا هو القارئ الذي يقرأ ما وراء النص ويهتم بالبحث عن المعنى الأسمى والمخفي المضمر دون التوقف عند حد معين.

لقد نادى ابن رشيق بالمؤاخاة بين المعاني، ولا شكَّ أنَّ المشاكلة والتناسب والمؤاخاة عنده إنَّما هي في عصرنا، تعد مظاهرًا للحبك والسبك والمقصدية، والمؤاخاة بين المعاني تعني: "أن يقرن المعنى مع أخيه لا مع لفظ أجنبي، ومثال على ذلك أن تضع وصفًا من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه، ويلتئم به". (العسكري، ص 141)

ومن الجدير بالذكر، أن القارئ المتمكن يصل إلى المعنى المراد من خلال وقوفه على الوسائل التي تحقق للنص دلالاته التامة؛ وذلك عن طريق الجمع بين الروابط السياقية كحروف العطف مثلًا، والروابط الدلالية القائمة على العلاقات المنطقية بين الجمل، وعلى سبيل المثال لا الحصر، تقف الباحثة على نموذج من رسائل مي اعتمادًا على قراءاتها المتواضعة، واجتهادها في التأويل، عسى أن تصل إلى درجة محدودة من مقصدية النص، ومقصدية المبدعة مي زيادة، ووقع الاختيار على رسالة وجهت إلى باحثة البادية تقول :" مصر بكآبتها وانعطافها واندفاعها. كل ذلك ونحن هائمون على وجهنا في صحراء الفوضى. صخور التقاليد القديمة تدمي أقدامنا الجديدة وأشواك الاصطلاحات تجرح أيدينا الممتدة للمس أشياء نظنها موصلة إلى حياة نريدها عظيمة. السراب الجميل اللامع ..يستدعينا آمرًا كأنه نظرة عين فنانة .. أيتها الباحثة الحكيمة لماذا تصمتين؟" (سعد، 1982، ص 220).

إن انتقال الكاتبة من الكلام عن العادات والتقاليد البالية، وما ترتب على ذلك من ظلم للمرأة وتأخر في الحضارة وفوضى في المجتمع المصري، إلى المستقبل الزاهر حيث الأفق الجميل اللامع، وتشبهه هنا بعين فنانة جميلة، كل ذلك يكشف عن قواعد التماسك النحوي والدلالي، والتي تربط أول الرسالة بآخرها، والمتمعن في الرسالة السابقة يجد خيوطًا دلالية معنوية، وملفوظات تختبئ تحتها دلالات خفية، إلى جانب الإحالات والمصاحبة بين الكلمات، وجمالية التشبيهات.

إن الرسالة السابقة تمثل حقلًا معرفياً، وإنتاجاً أدبياً ونثرياً، يعالج قضايا اجتماعية وثقافية وإيديولوجية،وهنا تظهر مقصدية النص، وغرض المنتجة من إنشائه. ومهما يكن من أمر، فإن معرفة المحيط والظروف، وقراءة ما وراء الكلمات، كل ذلك يسمح بمحاورة الرسالة، واستنطاق كلماتها وصولًا إلى الإخبارية والقصدية.

لقد وظفت الكاتبة أحرف العطف الواو وغيرها، وتخيرت الصفات وسواها، واعتمدت على التوابع في الربط بين الجمل ومعروف أن العطف من أدوات التماسك النحوي في أكثر اللغات، ليس في اللغة العربية فحسب، وهذه دلائل منطقية تؤكد أن الكلام الواضح لا ترسل الجمل فيه إرسالًا، بل لا بد من توفر أساليب لغوية وبلاغية كالنداء والاستفهام والتشبيه، تجعل الجملة اللاحقة ترتبط

بالجملة السابقة، كحلقات السلسلة، في نسيج محكم يراعي السياق، ومقام المرسل إليه، ووحدة الغرض أي: مقصدية النص. والمتلقي الحذق يلجأ إلى كل الأدوات النحوية والدلالية، التي استخدمها المنتج ليصل من خلالها إلى معنى المعنى. (الجرجاني، 1992)

ثالثًا: مقصدية القارئ:

تستهل مي زيادة رسائلها بأسلوب الخطاب، ثم تبدأ في عرض الموضوع والحوار مع المرسل إليه، والرد والمعارضة أحيانًا والموافقة في سياق آخر، وتغلف ذلك بعتاب خفيف، ثم تعرض موقفها الواضح، وكل رسالة من رسائلها تحمل في طياتها غرضًا خاصًا؛ لهذا وظفت المنتجة كل إمكاناتها الثقافية والعلمية؛ لتحقيق القصد الذي تريده، وتسخير النص لفهم القارئ.

إن مقصدية القارئ لا تتحقق إلا إذا أبحر في أعماق النص، ووقف عند المضمر المخفي قبل وقوفه عند المعاني السطحية الخارجية، والمبدع المتمكن ينشئ نصًا يثير في القارئ رغبة اكتشاف المعنى الذي يريده، فيضع الألفاظ في أماكنها، ويزود النص بقرائن لفظية ومعنوية تدل على المعاني.

كما بينت الباحثة سابقًا، يعد النص جسر وصل بين القارئ والمنتج ولا يقف عند حد في التفسير، وهذا يتطلب قارئًا مثقفًا ومتميزًا يبحر في أعماق النص ويدرك قصدية الجمل، ومن المعلوم أن النص قوامه المعنى، يستند على جمل ترتبط فيما بينها بأدوات لغوية متنوعة، منها ما يفيد التشبيه، وأخرى تفيد الاستدراك، أو الإضراب؛ لتشكل النسيج النصي الذي يترتب عليه ذلك التماسك. وعلى أي حال، يمكننا القول: إن انسجام النص وحسن سبكه يعين القارئ للوصول إلى المعاني الصحيحة.

يتعلق مقصد القارئ بمقصدية النص، فالنص يحمل النقاط ومواطن تحفيز القارئ لتنشيطه، واكتشاف دلالاته وإعادة استحضار موروثه الثقافي الذي يشكل مرجعيته، والرسائل التي توقفت الباحثة عليها، قد شكلتها أطراف مختلفة، ونبتت من ثقافات متعددة فأثرت في القارئ والمنتج على حد سواء.

لقد اجتهد علماء النص في إظهار دور القارئ والربط بينه وبين مقصدية المنتج، فلا يكتمل العمل الإبداعي إلا من خلال التواصل الثقافي الفعال بين المنتج والنص والجمهور القارئ، أو المتلقي الذي يقوم بإعادة إنتاجه مرة أخرى وبأسلوبه الجديد مستعينًا على ذلك بخبراته ومعرفته وقراءاته المتعددة للموضوع (فضل، 1996).

يكون دور القارئ في ضرورة استحضار التراث والبيئة التي نبت منها المنتج ومن هنا تظهر فاعلية دور القارئ في استحضار الغائب، واستكمال معاني المعاني؛ لهذا على القارئ أن يمتلك خلفية ثقافية وفكرية للبحث عن طريقة لمعالجة النص وتأويل معانيه.

إن قدرة القارئ على التحليل تعتمد على المكتسبات التي تحيط به من كل جانب، يضاف إلى ذلك ثقافته الواسعة وحسه المرهف، وذوقه الرفيع، كل ذلك يمكنه من الإبحار في بواطن النص حتى يظهر المخفيّ، الذي عجز عن إدراكه المتلقي الذكيّ.

وجملة القول: إن رسائل مي زيادة تحمل في طياتها مقصدية يكتشفها القارئ المثقف، والناقد المتمكن؛ وذلك من خلال قراءة سليمة، وإدراك صحيح لكل ما جاءت به مساحتها الفضائية، وفهم ذلك يوصلنا إلى مقصدية النص، وتعكس مقصدية الكاتبة أيضًا، أو جزء من مقاصدها التي تظهر في الجمل، بينما معاني المعاني لا نصل إليها إلا تأويلًا.

والقارئ لرسائل مي، لا بد أن ينفعل فرحًا، أو حزنًا، أو ألمًا، أو حيرة أو إعجابًا، وربما انفعالًا آنيًا أو انفعالًا يبقى إلى وقت طويل، ثم يظهر هذ التأثر في تأويل القارئ مؤيدًا أو معارضًا، مستندًا إلى إدراكه ومعرفته بأسلوب الكاتبة، ودراسة شخصيتها وظروف الرسالة التي وقف عليها، ثم يخرج بتحليل محايد، معتمدًا على قرائن النص من موحيات، وإشارات، وإحالات سواء كانت داخل النص أو خارجه، بالإضافة إلى قرائن المقام.

وإلى جانب هذا وذاك، فقد يستدل على مقصدية مي زيادة في رسائلها بقرينة أسباب الكتابة في ذلك الموضوع، وفي رأي الباحثة تعد أهم قرينة من قرائن المقام، ومن الأهمية بمكان معرفة الغرض الذي دفعها لإرسال الرسالة، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: أين نجد مقصديةالقارئ؟

ولعل الإجابة تكمن في معرفة القارئ بماهية النص، أي حصوله على المعلومة الحقيقية وفهمها، بحيث يستطيع توصيفه، بل حصوله على العلم بخصائصه، وبتقنياته، وقواعده، وأدواته، حتى يمكنه أن يميزه ويفرزه عن غيره من النصوص، وتنشأ هذه المعرفة من القراءة في النص المطلوب وعنه.

ونخلص إلى القول: إن مفهوم المقصدية التي انتهى إليها علماء اللغة كانت ثمرة جهود عظيمة واستقراء ضخم للظواهر اللغوية للنص، وقد احتلت جانبًا مهما في الأدب، فهي أمر مدروس في ذهن المنتج، وكذلك بالنسبة للقارئ، وهي لم تأت عبثًا أو عشوائيًا، والرسالة لغة تواصلية تحمل فكر منتجها وثقافته، فلا بد لها من مستقبل، أو قارئ فعلي أو افتراضي يفهم مضمونها ويقبل بها ويقدما للجمهور بمقصديته بناء على فهمه وإدراكه.

إذن، رسائل مي زيادة ليست سوى وعاء يحمل أفكارها ومقاصدها ويوصلها إلى القارئ الذي يتوقف عند موضوع الرسالة، فتنفتح في ذهنه فضاءات التأويل، ثم يكون صورة جديدة لها تختلف عن اعتبارات منتجهًا سواء كانت معنوية أو بلاغية؛ لأنه مستقبل المقصديّة، وواقع تحت تأثير الرسالة الإبلاغيّة إما موافقًا أو معارضًا، وليس أمامه إلا أن يفتح ذهنه ليفهم ويستوعب، ويحرك إحساسه في تفسير أبعاد النص. والقارئ العميق والمتمكن يقابل الأدوات المتوفرة في النص، التي تحيل إلى المعاني المختلفة، وتخصيص المقاصد.

وفي ضوء هذه المفاهيم لنقف عند جواب بعثته مي زيادة إلى صديقة سألتها لماذا أضربت عن الطعام،ورفضت استقبال الناس، فشرحت لها مي ذلك وبينت لها الأسباب في رسالة تقول: " أضربت عن الطعام لأني اشتهيت الموت بعدما لاقيت من اضطهاد وعنف في مصر حيث بيع أثاثي ومكتبتي بالمزاد العلني. أو في لبنان حيث لاقيت وسائل غريبة لحمل الناس على الاعتقاد بجنوني فقد زعموا أني أحرقت مكتبتي وهي أعز ما أملك في الحياة، لما فيها من مؤلفات تحمل تواقيع أصحابها وعبارات اهدائهم كما زعموا لهم إني حاولت إحراق أطفال .. فكان لهم أن يصدقوا. (جبر ، 1960، ص 90).

لقد ربط جون سيرل بين الأسباب التي دفعت المنتج لإنشاء النص، وبين مقصديته، (سيرل، 2009) ولوعدنا إلى دوافع إرسال الرسالة السابقة لوجدنا المقصدية فيها، فقد تعرضت مي زيادة للظلم الشديد من أقربائها وأبناء عمومتها؛ طمعًا في أموالها، فقد اتهموها بالجنون، وحبست في بيتها، ثم أدخلوها مستشفى العصفورية، وقالوا عنها ما ليس فيها.

إن الظروف الخارجية التي أحاطت بالرسالة، بالإضافة إلى مشاعر الحزن التي سيطرت على الكاتبة، كل ذلك ساهم في تشكيل الرسالة، فالكلمات (اضهاد أحرقت، أعز، ما أملك، إحراق، أطفال، بيع، أثاثي) تشير إلى مأساة مي زيادة، وتعتبر بمثابة مقصدية مباشرة أرادت الكاتبة من خلالها الإبلاغ، وتوضيح ما حل بها لجمهورها واتباعها من الأصدقاء والقراء.

وثقافة القارئ تعمل على تحليل المخزون الثقافي للرسالة، وعلى مستوى المعنى الظاهري اعتمدت الكاتبة على الترادف والمصاحبة بين الكلمات ذات الدلالات الكثيفة، ووظفت أدوات الربط المعنوية فجعلت كل جملة سببًا للأخرة يضاف إلى ذلك أدوات الربط اللفظية سواء كان بالعطف أو غيره، وبذلك أصبحت الرسالة قابلة للتأويل وتشربت من ثقافة الكاتبة وتأثر بذلك القارئ المؤول للرسالة، وجعل الجرجاني مقاصد الكلام ظاهرة ومخفِّية، فالظاهرة منها أطلق عليها المعنى، وهي واضحة وضوح الشمس لا تحتاج إلى وسيط لاكتشافها، أما المخفية أراد بها ما وراء النص، أو ما تختبئ تحت الكلمات وأسماها معاني المعاني.

ومهما يكن من أمر، فإن القصد قائم على موقف منشئ النص، الذي يعكس أفكاره وموسوعيته الثقافية ووسيلة متابعة معينة للوصول إلى غاية بعينها والنص هو قصْد يهدف إلى حدث لغوي ما، يرتبط بمفرداته وجمله وعباراته، وهو بنْية لغوية متسعة ومنسجمة تحقق غرض مقصدِّية المؤلف.

وجملة القول: إن مقصدية المؤلف ليست محصورة فقط في الجانب النصي بل تتجاوز ذلك إلى السياق، وعناصر خارجية أخرى، ويتشكل المقصد عند المتكلم ذهنيًا أولًا، ثم يتحول إلى القول ثم الفعل، كما ترى الباحثة أن اللغة هي أكبر حامل لمقصد المتكلم إذ أنه يعتمد عليها لإيصال مقاصده وتبلغها للقارئ النصي الذي يحاول أن يكتشف ويستنطق الكلمات ويركز اهتمامه على البنى الأسلوبية والدلالية والسمات الجمالية الصرفية أو التركيبية. ويختلف قارئ عن قارئ فهناك القارئ النصي الذي أشارت إليه الباحثة وهناك القارئ الفعلي الذي يقرأ النص ولا يعطيه حقه في التفكير والتدبير رغم أنه يقتني الكتب إلا أنه يخضع القراءة لأهوائه الخاصة، ولا يحكمه قانون، وهناك القارئ الافتراضي الذي يفترضه الكاتب توأمًا لروحه يعكس من خلاله نفسيته وآرائه، كأنه صورة المؤلف الثانية.

نضيف إلى ذلك القارئ المثالي، المتسلح بكل أنواع المعرفة التي تمكنه من فك شفرات النص، ويحسن النفاذ إلى داخله، ومن ثم مساءلة سره، واستخراج مكنوناته وهذا النوع من القراء يتأمل ما يتعدى حدود المرئي، ويبحر في المعاني المخفية ويحاور النص، كذلك يشعر بحيوية الحوار كما لو كان شخصًا ماثلًا أمامه.

وأخيرًا القارئ النموذجي حسب إيكو هو "قارئ نوعي يتوقعه النص، باعتباره محفلًا للتعاون"، أي يتغلغل في تفاصيل النص الواضحة، ويبحث عن التفاصيل الخفية، تلك التي يضع الكاتب في ثناياها أهدافه من الكتابة، ويترسب فيها مخزون الرؤية لديه، إنه استراتيجية من استراتيجيات النص، يتوسّل بها المؤلف ليبث من خلالها أفكاره ويوصل رسالته.

الخاتمة:

لعل ما سبق يفضي إلى حصيلة نتائج توصلت إليها الباحثة في هذه الدراسة التي وسمت بعنوان "تجليات المقصدية في رسائل مي زيادة" وكان من أهمها:

- تجلت في رسائل مي زيادة شبكة كلامية تداولية، ارتبطت فيها الوظائف اللغوية بواقع الاستعمال، إذ أخذت بعين الاعتبار معرفة المرسل إليه بمقصدية الكاتبة، إضافة إلى طبيعة السياق وأثر رسائلها على المتلقي وملاءمتها لمقتضى الحال، إذ أخذت بعين الاعتبار معرفة المرسل إليه بمقصدية الكاتبة، إضافة إلى طبيعة السياق وأثر رسائلها على المتلقي وملاءمتها لمقتضى الحال.
- إن إعمال المقصدية في تأويل رسائل مي زيادة تعصم القارئ من إنتاج تأويلات تصطدم مع مقاصد المؤلفة.
- تعد المقصدية مؤشرًا من أهم مؤشرات المعنى، وفضاء دلاليًا يسمح للنص بإفراز دلالته الخاصة به، ويحد من سلطة القارئ التي تقوّل النص في بعض الأحيان كلاما ما لم يقله.
- لكل نص قارئ مُتخيّل يقدم المنتج من خلاله تأويلًا يُساير المقاصد التي وُجد من أجلها النصّ، ثم يُجيد التّأثير في المتلقي.
- النصّ سواءكان مُغلقًا أو مفتوحًا، له قارئٌ نموذجيّ يختص به، والقارئ النموذجيّ هو نموذجيّ في فهمه لمقاصد المؤلّف؛ لما يتحلّى به من معرفة موسوعيّة، ومُؤهّلات لسانيّة، وقُدرات تواصليّة، تمكّنه من فهم النصّ وتأويله. إنّه مُتلقّ مثاليّ يخترعه المنتج.

ومما يكن من أمر، فإنه من الصعوبة بمكان، تحديد أبعاد المقصدية تحديدًا منضبطًا، إذ إنها تتعلق بالمتكلم، أو مرسل الخطاب والذي ليس له وجود عيني حين مباشرة عملية التأويل، أو عملية القراءة على الأقل. وخلاصة الموضوع لقد لجأت مي زيادة إلى تقديم العديد من المعلومات والاخبار والمعارف وكتبت في مختلف المجالات. ومن هنا يمكننا القول: إن الأديبة قد اعتمدت تنسيقًا داخليًا توفرت فيه علامات المعنى ينقل التي القارئ من الجملة إلى النص. ومهما يكن من أمر فإن مفهوم القصدية يشمل الوضوح، والغرض، وتوجه الفكر، والأفعال، والرمزية، والإيحاءات نحو موضوع ما.

المراجع:

القرآن الكريم.

إبراهيم خليل. (2007). *في اللسانيات ونحو النص (المجلد 1)*. دار المسيرة للنشر والتوزيع.

ابن السراج، أبو بكر محمد. (1996). *الأصول في النحو (المجلد 2)*. مؤسسة الرسالة.

الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر. (2000). *شرح التصريح على التوضيح*. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

بحيري، سعيد (1997). *علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات*. الشركة المصرية العالمية.

بدوي، عبد الرحمن. (1981). *دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب (المجلد 1)*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر

تمام، حسان. (1994). *اللغة العربية معناها ومبناها*. دار الثقافة

الجاحظ. عمرو بن بحر (2006). *البيان والبيين*. (تحقيق عبد السلام هارون، المحرر)،مكتبة الخانجي.

الجرجاني، أبو بكر. (1991). *أسرار البلاغة*. دار المدني.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف. (د.ت). *التعريفات*. (تحقيق ابراهيم الابياري، المحرر) دار الريان للنشر.

جميل، جبر. (1954). رسائل مي صفحات وعبرات من أدب مي الخالد (المجلد 2). دار بيروت للطباعة والنشر.

جميل، جبر. (1960). *مي زيادة في حياتها وأدبها*. المطبعة الكاثوليكية.

داعوق، سعد أمل. (1982). *فن المراسلة عند مي زيادة (المجلد ط1)*. دار الآفاق.

الدغيدي، أنيس. (د.ت). *غرام الكبار في صالون مي*. مكتبة الجزيرة

الراضي، أحمد محمد عبد. (2008). *نحو النص بين الاصالة والحداثة*. مكتبة الثقافة الدينية.

رولان، بارت. (1993). *درس السيميولوجيا (المجلد 3)*. (ترجمة بالعبد العالي، المحرر)، الدار البيضاء.

الشريف، بوشارب. (د.ت). *ظاهرة الترادف والاشتراك اللفظي*.

عفيفي، أحمد. (2009). *نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي*. مكتبة زهراء الشرق.

عمر، أحمد مختار. (1997). *علم الدلالة*. عالم الكتب.

قدور، أحمد محمد. (1999). *مبادئ اللسانيات* . دار الفكر المعاصر.

المتوكل، أحمد. (2001). *بنية الخطاب من الجملة إلى النص*. دار الامان.

مداس، أحمد. (2007). *لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري (المجلد 1)*. عالم الكتب الحديثة.

مفتاح، محمد. (1992). *تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية التناص*. الدار البيضاء، المركز الثقافي.

المقدسي، أنيس. (1978). *الفنون الادبية وأعلامها (المجلد 2)*. دار العلم للملايين.

يقطين سعيد. (2001). *انفتاح النص الروائي، النص والسياق*. (الإصدار ج2، المجلد 2). المركز الثقافي.